(سورة المزمل)

{ يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ } { قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً }

{ نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً }

{ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً }

{ يا أيها المزمّل } أي: المتلفف في غواشي البدن وملابسه { قُمْ } من نوم الغفلة سائراً في سبيل الله، سالكاً مسالك بيداء النفس ومراحل مفازة القلب إلى الله، ليل مقام النفس واستيلاء الطبع { إلاّ قليلاً } بحكم الضرورة للاستراحة والأكل والشرب ومصالح البدن ومهماته التي لا يمكن التعيّش بدونها وذلك هو نصفه، أي: نصف كونه في مقام الطبيعة من الزمان بأسره ليكون الربع من الدورة التامة التي هي أربع وعشرون ساعة للاستراحة والربع لضروريات البدن { أو انقص منه قليلاً } إن كنت من الأقوياء حتى يبقى الثلث فيكون السدس للاستراحة والسدس لضروريات المعاش.

{ أو زد عليه } قليلاً إن كنت من الضعفاء حتى يصير إلى الثلثين فيكون الثلث للاستراحة والثلث للضروريات والثلث للاشتغال بالله والسير في طريقه.

{ ورتِّل القرآن } أي: فصل ما في فطرتك من المعاني والحقائق مجموعة، وفي استعدادك مكنونة بإظهارها وإبرازها بالتزكية والتصفية.

{ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً }

{ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً }

{ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحَاً طَوِيلاً }

{ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً }

{ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً }

{ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً }

{ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً }

{ إنّا سنلقي عليك } بتأييدك بروح القدس وإفاضة نوره عليك حتى يخرج ما فيك بالقوة إلى الفعل من المعاني والحِكَم { قولاً ثقيلاً } ذا وزن واعتبار
{ إن ناشئة الليل } أي: النفس المنبعثة من مقام الطبيعة ومقيل الغفلة
{ هي أشدّ } موافقة للقلب وأصوب، قولاً صادراً من العلم لا من التخيل والظنّ والوهم { إنّ لك } في نهار مقام القلب وزمان طلوع شمس الروح
{ سبحاً } أي: سيراً وتصرّفاً وتقلّباً في الصفات الإلهية ومقامات الطريق
{ طويلاً } بلا أمد ونهاية.
{ واذكر اسم ربّك } الذي هو أنت، أي: اعرف نفسك واذكرها ولا تنساها فينساك الله، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها { وتبتل } وانقطع إلى الله بالإعراض عما سواه انقطاعاً تاماً معتدّاً به { ربّ المشرق والمغرب } أي: الذي ظهر عليك نوره فطلع من أفق وجودك بإيجادك، والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب بك { لا إله } في الوجود { إلاَّ هو } أي: لا شيء في الوجود يعبد غيره، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن
{ فاتّخذه وكيلاً } أي: انسلخ عن فعلك وتدبيرك برؤية جميع الأفعال منه فيكون أمرك موكولاً إليه يدبر أمرك ويفعل بك ما يشاء فكنت متوكلاً.
{ واصبر على ما يقولون } واحبس نفسك عن الطيش والاضطراب والحركة في طلب الرزق والاهتمام به على ما توسوس إليك قوى نفسك وتلقي إليك من خواطر الوهم ودواعي الشهوة ونوازغ الهوى فتبعثك وتتعبك في حوائجك
{ واهجرهم } بالإعراض عنهم { هجراً } مبنياً على العلم الشرعيّ والعقلي لا على الهوى والرعونة { وذرني } وإياهم فإنهم المكذبون بمقام التوكل وتكفلي بحوائجك لاحتجابهم بما أنعمت عليهم من نعمة الإدراك والشعور والقدرة والإرادة عني فلا يشعرون إلا بقواهم وقدرهم ولا يصدّقون قولي { ومهِّلهم قليلاً } ريثما أسلب عنهم القوة والقدرة بتجلي الصفات فيظهرعجزهم.

{ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيماً }

{ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً }

{ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً }

{ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً }
{ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً }
{ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً }
{ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً }
{ إِنَّ هَـٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً }
{ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

{ إنّ لدينا } قيوداً شرعية وتكاليف مانعة لهم عن أفعالها { وجحيماً } من حر نار التعب في الطلب { وطعاماً ذا غصّة } من مخالفات طباعهم وحقوقهم بدل حظوظهم { وعذاباً أليماً } من أنواع الرياضة والمجاهدة.

{ يوم ترجف } أرض النفس باستيلاء إشراقات أنوار التجليات في القلب فتقشعرّ وتضطرب، وجبال هيئاتها وصفاتها فتندكّ{ وكانت الجبال كثيباً مهيلاً } فتنمحى وتذهب. أو ريثما يهيج أعصير انحراف المزاج وغلبة بعض الكيفيات بعضاً إن لدينا أنكالاً من الهيئات المنكرة والصور المعذّبة المؤذية وجحيماً من نيران الطبيعة وطعاماً ذا غصّة مما لا تستلذه من أنواع الغسلين والزقوم والضريع، وعذاباً أليماً بتلك النيران والصور يوم ترجف أرض البدن بزهوق الروح وسكرات الموت وجبال الأعضاء فتتفتت وتصير كثيباً مهيلاً، والله أعلم.